

ماذا بعد تحرير الجنوب؟

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

لقد نغص متولو الحكم في بيروت على اللبنانيين فرحتهم بتحرير الجنوب وتحديدًا على سكان البلدات والقرى المسيحية المحررة التي تعرضت في الأيام الأربعة الأولى التي أعقبت الانسحاب الإسرائيلي لعمليات غزو بربرية من قبل مجموعات مسلحة حاقدة قالت جريدة السفير أنها عناصر لا تمت للمقاومة بصلة، بقدر ما تمت لحزب الفوضى (السفير ٢٥/٥/٢٠٠٠). غزوات زرعت الرعب والخوف في نفوس المواطنين العزل وهي أقرب ما تكون للسبي الذي مارسه العرب في أيام الجاهلية.

إلا أنه ورغم السرقات والتعديات والإهانات والاعتقالات التي تعرض لها سكان هذه المناطق الذين تمسكوا بأرضهم ورفضوا مغادرتها، فإن القدرة الإلهية ووعي قيادات في حزب الله وحركة أمل معطوفة على الضغط الإيراني المباشر الذي تمثل بحضور سريع لوزير الخارجية حال دون وقوع مجازر بشرية.

إن جريمة متولي الحكم اللبناني لا تغتفر كونهم رضخوا للضغط السوري ولم يرسلوا الجيش إلى المناطق المحررة لحماية الأهالي وبسط سلطة الدولة وحراسة الحدود، بل تركوا الجيش اللبناني البالغ تعدادة ٧٥ ألفاً يقف متفرجاً على الفوضى والتعديات والانتهاكات والتهجير، وتاركين للأحزاب والمنظمات المسلحة مهمة ملئ الفراغ الأمني الذي نتج عن انسحاب إسرائيل وتفكيك جيش لبنان الجنوبي، علماً أن معظم المنظمات التي غزت الجنوب بسلاحها وعاثت فيه فساداً ودماراً كان يفترض أنها جردت من سلاحها يوم جمع السلاح وترك مع المقاومة فقط.

لقد تخلت دولة الطائف كلياً عن مسؤولياتها لجهة حماية المدنيين وتحديدًا في البلدات والقرى المسيحية المحررة واكتفت بزيارات استعراضية مفرغة من أي معنى قام بها أركان الدولة وفي مقدمهم فخامة العماد إلى بلدات عين إبل ورميش ودبل وغيرها. والمضحك المبكي في المأساة هذه فإن الدولة وكما قال الدكتور البير مخيبر أرسلت المطارنة الى الجنوب بدل أن ترسل الجيش.

أما الجريمة الكبرى التي تسبب بها غياب الدولة المخجل والفاضح فكان اضطرار حوالي سبعة آلاف مواطن جنوبي جلهم من المسيحيين إلى الهرب برفقة الجيش الإسرائيلي المنسحب خوفاً على حياتهم وحياه عيالهم من عمليات انتقامية قد يتعرضون لها من قبل المسلحين الذين دخلوا إلى مناطقهم فيما دور قوى الشرعية معطل بقرار سوري.

صحيح أنه لم تُرتكب مجازر جماعية وهذا شيء إيجابي يشكر عليه كل من ساهم في عدم حدوثه أفراداً ودولاً وقيادات، إلا أن المجزرة الكبرى قد وقعت وهي عملية التهجير المسيحية التي تمت باتجاه إسرائيل، وإن لم تعالج وسريعا بشكل عادل وإنساني فإنها بالتأكيد ستؤدي إلى عملية فرز طائفي معيبة بحق الجميع وإلى تفرغ الجنوب من سكانه المسيحيين تحديداً. إن لكل فرد من السبعة آلاف لبناني الذين هُجروا قسراً إلى إسرائيل وغالبيتهم من الذكور، عائلة ستجد نفسها مضطرة للخروج من لبنان خلال أشهر قليلة للاتحاق بمعيلها الذي لن يعود إلى لبنان ما دامت سهام تهم الخيانة والتعامل موجهة إلى صدره والسجن والإذلال بانتظاره. علماً أن خيوط مؤامرة التهجير المنظم بدأت تتوضح بإعلان الحكومة الألمانية في ١/٦/٢٠٠٠ قبولها ٤٠٠ عائلة من مجمل ١٦٦٨ عائلة لبنانية مهجرة إلى إسرائيل (٧٨% منهم مسيحيين).

إن تحرير الجنوب وورغم عظمته وقداسته والتضحيات الجلل التي قدمت لتحقيقه لا يجب أن يتحول إلى عملية فرز طائفي واضطهاد لفريق أساسي من سكانه وتحريره منهم بتهجيرهم. إن هدف التحرير كما يقول الجميع كان إخراج الإسرائيلي وليس إخراج فئة من اللبنانيين وتحميلها وزر عملية الاحتلال التي تسبب بها الحكام الذين يتربعون سعداء اليوم في حكم لبنان وسوريا والسياسيين والقيادات الذين يتتعمون حالياً بالثروات والمراكز والامتيازات التي جنوها من جراء متاجرتهم بدم أهلهم وتحديداً الجنوبيين منهم.

لقد تحرر الجنوب فألف مبروك لأهله ولكل من ساهم بعملية التحرير، وتحية إجلال وإكبار لكل من ضحى بحياته عن إيمان لتحقيق هذا العمل الوطني الكبير، إلا أن المطلوب الآن وبسرعة جمع كل اللبنانيين تحت مظلة دولة القانون والمساواة والكرامة دون غالب ومغلوب وهذا أمر لا يمكن تحقيقه طالما بقي الحكم السوري وجيشه يهيمنان على بلدنا ويتحكمان بقرار حكمانا ويصادران حريتنا. لقد أُجبر المحتل الإسرائيلي على الرحيل فليعمل الجميع على تعجيل رحيل المحتل السوري، ويوم يرحل تكتمل الفرحة ويعود لبنان لأهله ويعودون هم له. عشم وعاش لبنان السيد الحر المستقل